

درس في المدنية الاميركية

مبني على المشاهدة العيانية

مشاهدات في اميركا

قوات اميركا العظمى

✽ المدرسة ✽ ذكرنا في المقالة السابقة بعض الاسباب الرئيسية التي تنشئ قوات اميركا العظمى وهي ١ جامعة عادلة قوية ٢ المجالس النيابية ٣ قوة المعارضة بين الاحزاب لبقاء الافضل ٤ حرية الجرائد . ولكن هذه الاسباب كلها لم تكن لتؤثر تأثيراً فعالاً في انهاض الامة وترقية شؤونها اذا لم يكن هناك عنصر قوي يمدتها بالقوة اللازمة لقيامها وقوتها . ورب امة اجتمعت فيها هذه الاسباب الاربعة ولم تبلغ من العز والارتقاء مبلغاً يستحق الذكر وذلك لنقصها هذا العنصر القوي . ونريد بهذا العنصر " المدرسة " ان القول بان المدرسة اساس نهضة الامة قول مألوف بين الكتاب والقراء في الشرق . وقد نقلنا منذ سنين قول بسمارك حين سئل بماذا تغلبت امتكم على الامة الفرنسية في سنة ١٨٧٠ فاجاب " بمعلم المدرسة " . وقد رأينا هذا القول بعد ذلك على شفاة كثير من اقلام الادباء وفي صفحات كثير من الجرائد . وقد قامت في مصر وغيرها من اقطار الشرق في السنوات الاخيرة صيحة تصم الآذان بشأن الكليات والمدارس والكتاتيب . فبعض الادباء ينشئ الكتاتيب ليجعلها مورداً للرزق وبعض الاغنياء ينشئها طلباً للشهرة وبعض الجمعيات ينشئها ليكون لها غرض يتجمع حوله . ولا تزال نهضة الكتاتيب وضجتها قائمة في مصر حتى هذه الايام لان الذين ينشئونها قد سمعوا من قادتهم ان انشاء المدارس خير من انشاء الجوامع والكنائس . ولا تزال نذكر قولاً لجريدة المؤيد بهذا الشأن حين طلب بعض من اهالي الريف من المرحوم منشاوي باشا المثري المصري الشهير ان يتبرع باصلاح جامع بلدتهم المتداعي . قالت ما خلاصته " ان كثيراً من الجوامع في الريف متداعية متقلقة . فاذا طلب اهل كل قرية مثل هذا الطلب من منشاوي باشا اضطر ان يوزع ثروته على هذه الجوامع بلا فائدة . لان المسلم يمكنه ان يصلي في كل مكان والدنيا كلها جامع له .

وانما حاجته الاولى الى المدارس فيجب تقديم انشاء المدارس على اصلاح الجوامع او انشاءها .
 وحقا ان الكاتب الذي في نفسه اقل حب للحقيقة والاخلاص وارثقاء الشعوب بشعر
 بارتياح وقشعريرة في نفسه حين يقرأ قولاً جميلاً كهذا القول من جريدة اسلامية او
 مسيحية . واذا كان بعيداً عن مصر ومع افوالاً كهذه الاقوال ورأى في جرائدها المقالات
 والاحتفالات بشأن الكتاتيب ومدارس الجمعيات خيل له ان مصر قد بلغت منها الغاية
 التي ما بعدها غاية . وقد رأينا اثر هذا الوهم في كثير من الجرائد التي لم تعرف مصر الا
 بما قرأته عنها . والحقيقة ان الكتاتيب والمدارس الاهلية التي تنشأ اليوم في مصر وجودها
 وعدمها سيان . بل قد سمعنا بعض اكابر وفضلاء المصريين ممن لهم علاقة ببعضها وهم
 اعرف الناس بها يقولون ان وجودها اشد ضرراً من عدمه وانه خير لهم لو انها لم توجد .
 وسبب ذلك ان هذه المدارس والكتاتيب لا تقوم بشيء من وظيفة « المدرسة الحقيقية » .
 وليس في الدنيا بلد تظهر فيه وظيفة المدرسة الحقيقية ظهوراً جلياً كالبلاد الاميركية .
 وانك اذا رفعت هذه المدارس من الولايات المتحدة فقدت اميركا اساس قوتها واول
 مبادئها الفعالة في نهضتها

ونرجو من القارئ ان يلاحظ اننا لا نريد هنا « بمدارس اميركا » كلياتها العلمية
 ومدارسها الزراعية والصناعية والتجارية فاننا نعرف في اوروبا وعلى الخصوص في انكلترا
 والمانيا وفرنسا كليات ومدارس ارق واعظم من الكليات والمدارس الاميركية من الجهة
 العلمية والفنية . وانما تفضل الكليات والمدارس الاميركية الكليات والمدارس الاوروبية
 بامر واحد شديد الاهمية وهو جعلها التعليم فيها منطبقاً كل الانطباق على حاجات الشعب
 ومقتضيات العصر الحديث الذي اصححت المعيشة فيه جهاداً هائلاً بين الناس . فهي تلقن
 طلبتها كل ما ينفعهم في هذا الجهاد ويقوتهم عليه وذلك اولاً بتقوية ابدانهم وتنشيط
 نفوسهم بالرياضة والالعاب البدنية التي اشتهرت بها اميركا دون سائر الامم وثانياً بتعليمهم
 تعليماً عملياً Pratique فيما ترى المدارس الفرنسية مثلاً تدرس طلبتها شعر بوالووراسين
 وكورنيل واللغة اللاتينية طبقاً لبروغرام التعليم في القرن السابع عشر والثامن عشر ترى
 الاميركان يضعون كتباً Pratiques لاثارة الحياة والنشاط في نفوس ابنائهم ودلائلهم على
 طرق معيشتهم . فاذا خرج تلميذهم من المدرسة ودخل مدرسة الزمان كان قادراً على المعيشة
 فيها بسهولة لان مدرسته سلحته بجميع الاسلحة اللازمة للفوز في هذه المعيشة .
 اما التلميذ الاوروبي فيخرج من مدرسته مشحوناً بالذهن بمبادئ خيالية وافكار

كتيبة (١) لا تنفعه في مدرسة الزمان بل ربما جرّت عليه ضرراً شديداً . وكنا في الشرق قد عرفنا ذلك حق المعرفة اما من انفسنا او من الطلبة الذين نراهم يخرجون من مدارس اماننا . وهذا واسفاه العلة الاولى في بلاتنا وضياح قوى شبيبتنا وآلامها الشديدة قبل ان نتمكن من اصلاح ما افسدته المدرسة الشرقية في نفوسها
 كلاً ليس مرادنا في كلامنا هنا عن (المدرسة الاميركية) الكليات والمدارس الفنية التي تقدمت الاشارة اليها وانما نريد بها (المدرسة الابتدائية) . وانك لتعلم (حقيقة وظيفة) هذه المدرسة في هذه البلاد مما يلي

❖ كيف يكون الامتزاج والاستغراق ❖ كلنا نعلم ان الشعب في هذه الجمهورية العظمى قد تألف من عدة عناصر مختلفة بين انكليز والماني واولنديين وهولنديين ونرويجيين واطاليين وفرنسيين وغيرهم . ولا يزال يهاجر اليها في كل عام نحو مليون نفس من عناصر مختلفة . فانظر ماذا تفعل (المدرسة الاميركية) هنا . انها تأخذ ابناء هذه الملايين الضعيفة القاصرة الفقيرة المهاجرة اليها وتعلمهم تعليماً واحداً . وهذا التعليم الزامي فاننا نكتب الآن هذه السطور والحكومة المحلية تنشر بين اهالي نيويورك وملحقاتها وفي جرائدها منشوراً تطلب فيه منهم ان يذكروا لها عدد الاولاد عندهم وسنهم وفي اية مدرسة يتعلمون . والاب الذي يبلغ ابنه السنة الثامنة من عمره ولا يبعث به الى المدرسة الابتدائية تحق عليه الغرامة وقدرها ٢٠ ريالاً او السجن شهراً . وعليه ابقاؤه في المدرسة حتى السادسة عشرة على انها تعني الولد من المدرسة في السنة الرابعة عشرة اذا اثبت لها الاب انه يستعمله عند بلوغه هذا السن في عمل نافع له ولستقبله . وليس غرض الحكومة في هذا نفع الولد فقط لانها القيمة الشرعية عليه بل لها من ذلك غرض لمنفعتيها ايضاً . فانها لا ترمي فقط الى رفع هذه النفوس الصغيرة القاصرة الضعيفة بتعليمها القوي الى مرتبة النفوس العزيزة القوية لتجعل منها رجالاً بل غرضها ايجاد امرين . الاول توحيد اهليها وسكانها بتربيتهم تربية واحدة وجعلها

(١) تنبه الاوروبيون الى هذا الامر في السنوات الاخيرة فقام كثيرون منهم يدعون الى اصلاح بروغرام التعليم . ولما شرعت فرنسا في ذلك منذ بضعة اعوام عارضها فيه اساتذة الحزب القديم بحجة ان (الجمال) الموجود في التعليم القديم لا يجده الطلبة في التعليم الجديد . وكتب يومئذ الاستاذ الفريدفوليه من مشاهير الاساتذة في مجلة العالمين بقول ان (المبادئ الانسانية الجميلة القديمة) ستموت بهذا التعليم . ولكن الحكومة تغلبت على هذا الحزب بجعلها بروغرامها وسطاً بين التعليم العملي التجاري المحض والتعليم الايدياليستي المحض . وهو الصواب

لهم جامعة واحدة وهي الجامعة الاميركية . وبذلك تأمن الانقسامات الجنسية التي تترق احشاء الامم الاوروبية لا سيما وان هذه الانقسامات قد تبلغ هنا اشدها اذا لم تتلافها وذلك لتعدد الجنسيات والاقوام الذين يعيشون فوق ارضها . والامر الثاني انها تعلم ان الامة بافرادها فاذا كانوا رجالاً اقوياء اذكيا مدربين على الحياة استفادت الامة من قواهم البدنية والعضلية واذا كانوا ضعفاء جهلاء بلداء كانوا حملاً ثقيلاً عليها وسبباً لضعاف الاقوياء فيها . ومنذ مدة اقترح بعض النواب الاميركان على مجلسهم تضييق باب المهاجرة على المهاجرين بفرض ضريبة عليهم قبل دخولهم وايجاب امتحانهم في القراءة والكتابة والحساب وبعض الدروس الادبية . ولا يزال هذا الاقتراح في دائرة البحث . فقامت على اصحاب الاقتراح قيامة بعض الجرائد وفي مقدمتها « الجورنال » في نيويورك . وكان من اهم حجج « الجورنال » ان هؤلاء المهاجرين الذين تبغون مضايقتهم انما ينجحون الامة الاميركية رجالاً لا تستغني اميركا عنهم . فان الواحد منهم يحمل الاثقال والتراب والاخر يعالج الحديد في المعمل والثالث يموت ويحجي في النهار بعمله الشاق - وكلهم لا يتعبون و يضمنون ويسقون الا وغرضهم تعليم اولادهم . واولادهم بعد ان يتعلموا هم لنا خير الرجال لانهم يصبحون اميركيين قلباً وقالماً **﴿ ظهور هذا الاثر في السوريين ﴾** ادخل ابة مدرسة شئت من المدارس الاميركية

هنا وقف عند اي ولد من اولادها . قف مثلاً امام فتى اسمر اللون اسود الشعر والعينين عصبي المزاج حاد النظر كان عينيه من نار وسله من اي قوم انت ؟ ولا ريب في انك تلقي عليه هذا السؤال وانت لا تجهل انه سوري او يوناني او اسباني (١) لان صفات جسمه تدل على ذلك . فستمعه يجيبك وقد ازداد انقاد عينيه ورفع راسه بكبرياء كأنه على قصره يريد ان ينطح به السماء « انا اميركي » ولا يستثنى من « هذه الكبرياء الوطنية الاميركية » ولد حتى ابناء الانكليز والفرنسيين انفسهم . فان جميع الاولاد الذين دخلوا المدرسة الاميركية وذاقوا حلاوتها واعنادوا نظافتها وترتيبها وتعليمها السهل المفهوم وانشيدها الجميلة والاعبيها الرياضية المقوية ورفق معاملتها وحماسة التربية القومية فيها كلهم لا يريدون ان يكونوا الا اميركيين . حدث احد الآباء السوريين قال . انني على مذهب كذا (وهنا سمي مذهباً مسيحياً) وابني في الثانية عشرة من عمره يتعلم في المدرسة الاميركية . وكنت

(١) كثيراً ما سمعت بعضهم في فرنسا يسألني قائلاً « اظن انك اسباني » ذلك لان الاسبان شديداً يشبه بالسوريين واليونان . وقد اخذوا هذا الشبه من الدم العربي الذي امترج بدمائهم من دول الاندلس العربية

الح عليه ان يرافقني الى كنيسة للصلاة فيها فيجيبني اننا نضلي في المدرسة . وفي ذات يوم تغلبت عليه واقفتمه بمرافقتي فذهب معي الى كنيسة . ولما عدنا منها سألته عن رأيه . فاجاب ضاحكاً لم افهم شيئاً وانني استغرب هذه الصلاة وهذه آخر مرة ارافقك اليها (١) وحدث اب آخر قال : لما حمي وطيس الخلاف والنزاع بين السوريين هنا اخذت بعض الصحف تطعن علي طعنًا شديدًا . ففي ذات ليلة قصدت منزلي مضطرباً ثائراً فسألتني ابني وهو فتى في الخامسة عشرة ما سبب غضبك . فاخبرته عن السبب . فضحك وقال (« انتم ») ايها السوريون تشتغلون دوماً بالسفاسف والصغائر . فماذا يهمك او يضرك ان تطعن الصحف عليك . ان هو الا كلام ذاهب في الهواء . اما رأيت ان الصحف الاميركية تطعن علي « رئيسنا » روزفلت نفسه قال الاب وانني الآن نادم لانني لم افعل طبقاً لرأي ابني قلنا وان مدرسة تعلم صبيانها تعليماً يجعلهم اهل فهم ورزاقه وعقل يفوق فهم الكبار وعقلهم ورزاقهم لجديرة بكل احترام وشكر من المهاجرين السوريين . ومصلحتهم الكبرى ومصلحة امثهم في مستقبلها في هذه البلاد انما هي في ان يجعلوا المدرسة الاميركية على الدوام المربية الوحيدة لابنائهم دون ان يفكروا بانشاء مدارس وطنية شرقية تربي وتخلد في نفوس الابناء ذلك الارث القبيح الذي تركه لهم الآباء وهو ارث النفس الشرقية وما يتبعها من قصور فاضح في التعليم والتربية والانقسامات المعلومة

واننا كلما جلنا في شوارع نيويورك وبروكلن ورأينا ابناء السوريين وبناتهم يلعبون مع ابناء الاميركيين وبناتهم ولا فارق يفرق بين الفريقين في النشاط والقوة والذكاء واللغة واللباس والنظافة غير السحنة الشرقية الجميلة لا نتالك ان نقول ونحن مارون في طريقنا . - اي نعم ابنتها المدرسة الاميركية الصغيرة . انت قوة اميركا الكبيرة واساس عظمتها وسلك وحدتها . بك تبزر في نفوس ابناء هذه الامة اول بزور القوة والشهامة والشجاعة والاخاء بين الشعوب والادب والجمال . منك بتبدئي الخطوة الاولى في سبيل العظمة الاجتماعية وجميع المدارس الكبرى والكليات العظمى والجامع العلمية والمحافل السياسية التي تأتي بعدك انما تبني على اساسك . فيك العناصر والجنسيات والمذاهب المختلفة تجد الحكم العادل بينها المسكن نفوسها وآلامها والحرك العظيم الذي يمزجها بعضها ببعض مزجاً لطيفاً دون اصطدام ولا احتكاك ويخرج منها في النهاية شعباً جديداً بطيب له هذا الامتزاج والاستغراق لانه يرقيه وينقذه من نقائصه الاولى

(١) لانتم حسن هذا الانقسام المذهبي في العائلة ولكننا ذكرنا هذا المثل لبيان تأثير هذه المدرسة